دعا زكريا ربه فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي طعم في رزق
الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة اي
مباركة عن السدي وقيل صالحة نقية تقية العمل وانما أنث طيبة
وانما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته
اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء
بمعنى قابل الدعاء ومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده اي قبل
الله دعاءه وانما قيل السامع للقابل المجيب لان من كان اهلا ان يسمع منه
فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع فناداته
الملئكة قيل ناداه جبرئيل عليه السلام عن السدي فعلى هذا يكون المعنى ان
النداء اتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان في السفن وانما ركب سفينة
واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملئكة وقيل ناداه جماعة من الملئكة
وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وقيل في محراب المسجد ان الله يبشرك
بيحيى سماه الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لان
الله احياه به عقرانه عن ابن عباس وقيل لانه سبحانه احياه بالايمان
عن قتادة وقيل لانه سبحانه احيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد يحيى
بكلمة من الله اي مصدقا بعيسى عليه السلام وعلية جميع المفسرين واهل
التاويل الا ما حكي عن ابي عبيده انه قال بكتاب الله كما يقولون انشدت
كلمة فلان اي قصيدته وان طالت وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلمة
الله من غير اب وقيل انما سمي به لان الناس يهتدون به كما يهتدون
بكلام الله كما سمي روح الله لان الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون
بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا من عيسى عليه السلام بستة اشهر وكانت

به وكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احدى
معجزات عيسى واقوى الاسباب لاظهار امره فان الناس كانوا يقبلون
قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده وسيادته في العلم والعبادة عن قتادة
وقيل في الحلم وحسن الخلق والتقى عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن
عباس وقيل ففيها عالما عن سعيد ابن جبير وقيل مطيعا لربه عن سعيد ابن
جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيدا للمؤمنين بالولاية عليهم عن الجبائي
والجميع يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لان يسود على من يجب عليه طاعته لما
هو عليه من هذه الاحوال وحصورا وهو الذي لا يأتي النساء عن ابن عباس وابن
ابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبدالله ومعناه انه يحصر
نفسه عن الشهوات اي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والا
باطلا
عن اللبود وقيل هو العنين عن ابن المسيب رفيع القدر والمنزلة من جملة
الانبياء والصالحين وهذا لا يجوز على الانبياء عليهم السلام لانه عيب وذم و
لان الكلام خرج مخرج المدح ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع
القدر والمنزلة من جملة الانبياء لان الانبياء كلهم كانوا صالحين وفي
هذه الآية دلالة على ان زكريا انما طمع في المولد لما راى تلك المعجزات وهو
وان كان عالما بان الله تعالى يقدر على ان يخلق الولد من العاقر فقد كان
يجوز ان لا يفعل ذلك لبعض التدابير فلما راى خرق العادة بخلق الفاكهة
في غير وقتها قوى ظنه في انه يفعل ذلك اذا اقتضته المصلحة كما ان
ابراهيم عليه السلام وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الموتى سأل
ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على ان الولد الصالح رحمة
من الله تعالى على العبد فكذلك بشره به قوله تعالى قال رب انى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)